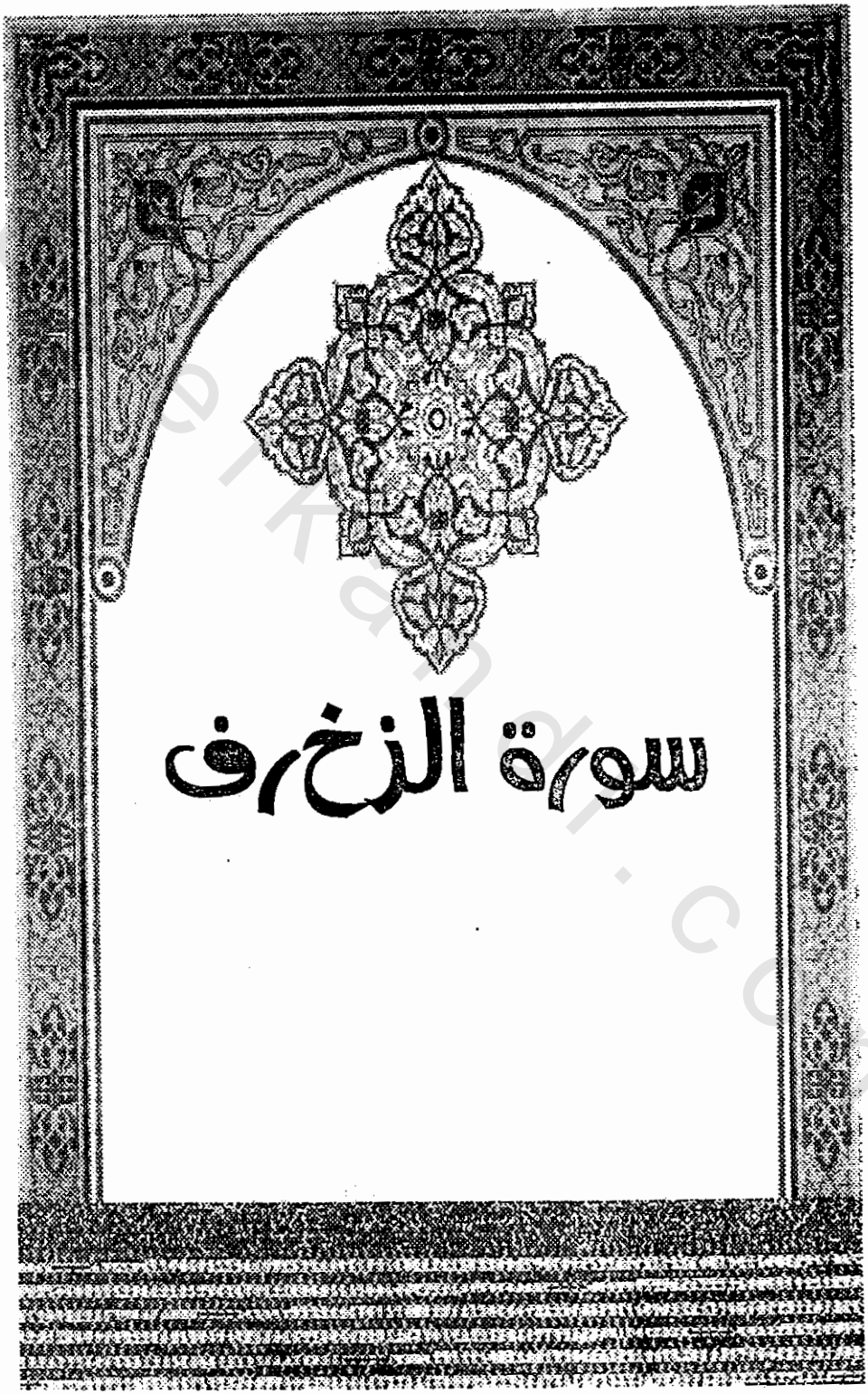
سورة الزخرف

obeikandl.com

﴿ سورة الزخرف ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾

برغم أن الماء فى الأرض إلا أن وجوده فى السماء من العجائب، ذلك لكون السماء مركز انسحاق العلو والهبوط وغياب الجهة، فالكون كله من كواكب ومجرات ونجوم عائم فى عالم السموات المجهول، وبالتالى كان مركز المنح الإلهية الذى تنعدم فيه الجهة، فإحياء موات الأرض المتحيزة إنما يأتى من غير جهة، وبه يقوم انعدام الجهة، ولذلك لما كان أهل الأرض فى عدم قدرة على إطاقة التجلى النورى المطلق نزل عليهم من عالم السموات بقدر معلوم خوفا عليهم من انصهارهم بالنور الإلهى المطلق، إلا أن يأتيهم بقدر معلوم.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

هذا لكون عنوان الربوبية ومجدها لا يقوم سوى بالذكر، ولم تطالبنا الألوهية سوى بتمجيدها بأسلوب الخضوع بالذكر، وأعلاه تذكر السر له سبحانه وتعالى بلا انقطاع، وذوبان ذكر اللسان وانقطاعه وانمحاقه وبقاء ذكرَ السر.

يقول عارفهم:

ذكرتك لا أنى نسيتك لحظة وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى

فمن انقطع وانشغل بغير ذكره سبحانه قيض له الحق تعالى شيطاناً لتدنى همته عن تذكر الربوبية.

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

وهو التصميم على زوال الباطل بالحق، وهو من شيم الأنبياء يقول المعصوم ﷺ: ((والله لو وضعوا الشمس عن يمينى والقمر عن شمالى على أن أترك هذا الدين ما فعلت)).

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

أى فلما أغضبونا بإسقاط حرمة الربوبية وإلغاء حرمتها والاعتراف بأمجادها صببنا عليهم جام الغضب وأذقناهم ويلات عذابنا.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾

هو العارف الكامل الذى أنعم عليه مولاه بالمعرفة وتولاه بالعلم اللدنى وهذبه وآواه إلى كنفه فلا يسقط من نظره أبداً.

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

هم من شموا من بعضهم رائحة المعرفة وشرف القربى، فهم الأخلاء الحقيقيون وغيرهم فى الباطل والحجاب قائم، ذلك لكون كل خلة غير متعلقة بالمعرفة الإلهية فهى زائفة .

﴿ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴿٧١﴾ ﴾

ومن قال لك إن العين لا تتلذذ، فإن العارف يسمع ويبصر ويشم بكل جسمه.

﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

وهم فى الحقيقة لا يريدون وراثتها إلا لسبب واحد وهو رؤية الحق فيها وحدوث التجلى الإلهى لهم بداخلها .

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

وذلك لخساسة الطينة وتردى الجبلة وتسافل العنصر فيهم .

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

فالعلم الأصلى له هو سبحانه، من حيث علمه بالسر وأخفى ومن حيث علمه بالسر والنجوى، ولكنه سبحانه لما ترفع فى مكانته وعزته أوجد خلقاً ورسلاً من لدنه، فأعطاهم صفة علمه بالسر والنجوى وهم الملائكة الكتبة .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾

أى أعلمنا أن الوجود الإلهى غير مرتبط بالجهة.